

الفصل الثاني الإلياذة

تلخيص وتحليل ونقد

تتكون الإلياذة من خمسة عشر ألفاً وخمسمائة وسبعة وثلاثين بيتاً ، ومجملها بالإيجاز أن أجائمون إبّان ضرب الحصار على تراودة يوجه في الأنشودة الأولى إهانة إلى أخيلوس فيعتزل هذا الأخير الجيش ويصم على عدم المساهمة في المعارك ، وينجم عن هذا الاعتزال أن ينهزم الأكيان تلك الهزيمة المنكرة التي تصورها لنا الأنشودة الثامنة . وفي الأنشودة التاسعة يبعث إليه ملوك الهيلين بسفارة تحاول أن تعطف قلبه ، ولكن مجهوداتها تذهب أدراج الرياح ، وعلى أثر هذا يحرق الخطر بالأكيان ويصل الكرب إلى أقصى حدوده ، وإذا ذلك فقط يوافق أخيلوس في الأنشودة السادسة عشرة على أن يعير صديقه بثر كلوس سلاحه فيحمله وينزل إلى ساحة الوغى فيهزم الترواديين ، ولكن هكتور يكر عليه فيقتله ، وحينئذ تثار ثورة أخيلوس فيندفع إلى المعركة في الأنشودة التاسعة عشرة فيسحق أعداءه ويثأر لصديقه بقتل غريمه هكتور كما تحدثنا الأنشودة الثانية والعشرون . وأخيراً وتحت تأثير تضرعات برياموس الشيخ يرد إليه جثة ابنه ليقم لها الطقوس الجنائزية . هذا هو موجز الإلياذة ، أما تلخيصها وتحليلها ونقدها في شيء من الإيضاح فهو كما يلي :

١- الأنشودة الأولى :

لا يرتاب أحد من النقاد في أن الأنشودة الأولى أقدم أناشيد الإلياذة على الإطلاق ، وهي تنقسم إلى قسمين منسجمين تمام الانسجام ، إذ يرسم لنا القسم الأول منهما الوباء الذي يحتاج جيش الهيلين والخلاف الذي يدب ديبه بين زعمين من زعمائهم ، ويصور لنا الثاني نتيجة هذا الخلاف وما يعقب ذلك من تدخل الآلهة .

يفتح المؤلف هذه الأنشودة باسم عرائس الشعر ويستعينهن الإلهام ، وهى سنة دينية قديمة ثم يحدثنا أن الأكيان^(١) يغتصبون كريزيثيس ابنة كريزيس كاهن « فيبوس أبولون » فيتجه والدها إلى المعسكر ليستعيدها إليه ، فلا يكون من أجاممنون إلا أن يطرده بعنف . وإذا استحكم اليأس من قلبه يتوسل إلى أبولون أن ينتقم له فيستجيب دعاءه ويقذف الأكيان بسهم سخطه فيفتشى الوباء بين صفوفهم ويأخذ فى اجتياح جنودهم تسعة أيام متوالية ، فلا يرى أخيلوس بدا من أن يعقد مجلس الرؤساء ليطلبوا إلى « كلخاس » العراف أن يصارحهم بسبب سخط الإلاه فيفعل ويعلن كلخاس أن السبب هو الإهانة التى يوجهها « أجاممنون » إلى كريزيس . وعلى أثر هذا التصريح تنحل الأهواء من عقلاها فتثور ثائرة أجاممنون وينهال على العراف بالسب ويخرج الرؤساء الآخرين بطريقة غير مباشرة ثم يعلن أنه إذا كان لا بد من رد « كريزيثيس » إلى والدها فإنه يشترط أن يستعيض عنها غيرها من محظيات الرؤساء الآخرين . وإذا ذلك يهتاج أخيلوس فتحتمد المشاجرة بينهما ويتبادلان التحدى والتهديد والإهانة ، وليس هذا فحسب ، بل إن « أخيلوس » يجرّد سيفه إلى النصف من غمده ، ويكاد الفعل يعقب القول لولا أن تتدخل أثينيه و « هيريه » فى الأمر . وأخيراً يذعن « أخيلوس » لنصح الإلاهتين فيهدأ ، ولكنه يقسم أنه لن يسام معهم فى قتالهم ، وأن الأكيان سيعضون بنان الندم على قدم إياه ، غير أن « أجاممنون » يصر على أخذ « بريزيثيس » إحدى جوارى « أخيلوس » بدلا من « كريزيثيس » ولا تستطيع نصائح « نِسْتور » الحكيمة أن تثنيه عن عزمه ، فلا يسمع « أخيلوس » إلا أن يذعن وينسحب إلى خيمته بعد أن يحدد قسم الحق . وحينئذ

(١) أسلفنا فى حديثنا عن نشأة الأمة الهيلينية أنها تنقسم إلى أربع شعب ، وهى : اليونان والديان والأكيان ، ولكن ينبغى أن نعرف أن كلمة الأكيان قد طغت فى شعر هوميروس على أسماء بقية الشعب حتى أصبحت موازية لكلمة الهيلين كما طغت كلمة اليونان أو اليونان فى عصور أخرى إلى حد أن نسبت إليها جميع المنتجات الهيلينية فقل : الفلسفة اليونانية ، والأدب اليونانى والتاريخ اليونانى ، وهذا كله خطأ لا يجوز إلا مجازاً من باب إطلاق الخاص وإرادة العام .

يتفرق أعضاء المجلس ويذهب كل إلى شأنه ، ويعد « أجا ممنون » العدة لإرسال « كريز يثيس » إلى والدها ولتطهير المعسكر .

هذا هو القسم الأول من الأنشودة الأولى ، وفي القسم الثانى نرى « أجا ممنون » يرسل رسله إلى خيمة أخيلوس ليحضرها محظيته فيسلمهم إياها ، ولكنه يجدد للمرة الثالثة قسمه للانتقام ثم يجلس وحده تاركاً نفسه للحزن بينما يعود الرسل بالمحظية إلى أجا ممنون فيدفعونها إليه .



[الصورة رقم ٣ مأخوذة عن متحف اللوفر ، وهى مرسومة على وعاء فى من صنع الفنان هيرون (Hiéron) يرى فيها أجا ممنون قابضاً على يد أسيرته بريز يثيس محظية أخيلوس بعد أن انتزعت منه ، وخلف هذه الفتاة يرى الرسول تليبيوس والبطل ذيوميديس .

وأخيراً يدعو والدته ثيتيس Thétis ، فتأتيه مسرعة من قاع البحر فيشكو إليها فتستمع إلى شكايته بحنان أموى وتعهده له بأن تطلب إلى زوس أن ينتقم له حينما يحضر من رحلته التى ستستغرق اثنى عشر يوماً .

وفى انتظار ذلك يظل أخيلوس فى عزلة تامة عن الجيش ومعاركه . وعندما يعود زوس تتحدث معه ثيتيس فى شأن ابنها فتقال منه وعداً صريحاً بأن حظ الأكيان سيكون أدنى من حظ أعدائهم حتى يقدموا إلى أخيلوس الترضية التى يقبلها ، ولكن « هيريه » تعلم بهذا

الوعد فتشور ضد زوجها زوس ، لأنها كانت قد أخذت على نفسها حماية الأكيان . غير أن ابنها « هيفستوس » يتدخل في الأمر فيحل الوثام محل الخصام . وعلى أثر هذا تقام مأدبة إلهية سعيدة يركن بعدها الآلهة إلى الراحة والهدوء .

هذا هو مجمل الأنشودة الأولى ، ويلاحظ النقاد المحدثون أنها تغلب عليها البساطة إلى أقصى حدودها وأن الشخصيات التي تظهر فيها قليلة ، إذ نرى أن المشاجرة فيها قاصرة على أخيلوس وأجا ممنون كأنهما في عزلة عن المعسكر وأن الوصف فيها محدود مختصر لا يعنى إلا بما لا بد منه ، وأن الآلهة فيها يبدون قريبين من الطبيعة نعم يحوطهم الجلال ، ولكن لا تغمرهم الأبهة المغالية ، وتظهر عليهم العظمة والقوة ، ولكن تدخلهم في تصرفات الإنسانية معقول ، وهو صريح لا يحاولون فيه إخفاء وجوههم . وقصارى القول : كل شيء فيها تظهر عليه مسحة الطبيعة ، ولكنه محوط بسياج من القوة والعظمة والجلال .

٢ - من الأنشودة الثانية إلى العاشرة

يرى النقاد أن الأنشودة التابعة مباشرة للأنشودة الأولى هي الأنشودة الحادية عشرة ، أما ما بينهما من الأناشيد فقد أضيف فيما بعد ، وهو أجنبي عن الفكرة البدائية ، وأن تلك الأناشيد التسع من تأليف عدة شعراء لا بد أن يكون بينهم من هم ذوو مواهب سامية ، لأن فيها ما يعد من أحسن أناشيد الإلياذة على الإطلاق . وكل ما فيها من عيب هو عدم الانساق في ترتيبها كما يدل على ذلك الأستاذ كروازيه .

ومهما يكن من شيء فإننا سنتابع تحليل تلك الأناشيد حسب ترتيبها الحالي كما لو كان ترتيباً حقيقياً .

أهم حوادث الأنشودة الثانية هو أن زوس يصمم على هزيمة الهيلين كما وعد ، ثيتيس والدة أخيلوس ، فيرسل « أونيروس Oniros » بنجم مزيف إلى أجا ممنون يريه فيه أنه لكي ينتصر على الترواديين ما عليه إلا أن يشعل نار الحرب في الحال ويذكيها بين

الفريقين . وعندما يستيقظ هذا العاهل يريد أن يسير على هدى الحلم ، ولكنه يود أن يتلى جنوده قبل إشعال لهيب القتال ، ليرى هل لديهم من الشجاعة والقوة ما يساعدهم على اقتحام هذه المعركة أولاً ، فيعرض عليهم فكرة إنهاء الحرب والعودة إلى بلادهم ، لينظر ماذا هم فاعلون بإزاء هذا العرض ، ولكنه من ناحية أخرى يوحى إلى الرؤساء أن يمنعوا الجند من الرحيل إذا هم اعتزموه ، فلا يكاد الجنود يسمعون الإذن بالرحيل حتى يحزن جنوهم من الفرح ، ويسرعوا إلى الاستعداد للعودة ، غير أن « أوديسئوس » يمنعهم بأحاديثه الساحرة ، وأساليبه الفاتنة فيعدلون ، ولكن هذا العدول لا يقنع أجاثمنون بأن جنوده يساوون شيئاً ، فيمتلئ قلبه يأساً وقنوطاً ، ويعظم ذلك على « نستور » الشيخ الحكيم ، فيلقى خطبة عميقة مؤثرة يشجع فيها أجاثمنون ويعيد إليه أمله في الانتصار فيعلن بدء المعركة .

ويرى النقاد أن فكرة ابتلاء أجاثمنون الجند لم تكن في الإلياذة البدائية ، وإنما أضيفت بعد ذلك ، لأنها تقلل من انسجام الأنشودة بدون أية فائدة ، إذ أنه ما دام أن أجاثمنون كان مصمماً على إشعال لهيب المعركة أيّاً كانت الظروف فليس هناك معنى لهذا الابتلاء .

فإذا كانت الأنشودتان الثالثة والرابعة فنحن في انتظار المعركة التي أعدت في الأنشودة الثانية . وبينما نحن على هذه الحال إذ يتبدل الأمر فنرى « باريس » يظهر في الميدان ويتحدى الأكيان ، فيبادر مينيلائوس إلى تلبية هذا التحدى ويعلم أنه يريد مبارزته ، وحينئذ ينشغل الفريقان بإعداد اتفاق يتعهدان بالإذعان لشروطه بعد انتهاء المبارزة . ومجمله أنه إذا كانت الغلبة لـ « مينيلائوس » استرد الأكيان هيلينيه ودفع لهم الترواديين تعويضاً . وإذا كانت الغلبة لـ باريس ، انسحب الأكيان دون المطالبة بشيء ما .

وبينما تدور المفاوضة بين رؤساء الجيش حول هذا الاتفاق نشاهد هيلينيه تصعد فوق سور تروادة فيستقبلها برياموس بحنان أبوي ، ويلقاها شيوخ تروادة بإعجاب ثم تشرع في تعريف الترواديين برؤساء الهيلين مشيرة إليهم واحداً بعد واحد . وهذا المنظر هو أجمل مناظر هاتين الأنشودتين كما يرى النقاد .

وبعد أن يوافق الرئيسان الأعلىان : برياموس وأجاممنون على المعاهدة وتقدم القرابين إلهاداً للآلهة على تقدسها وتنفيذ ما فيها من التزامات تبدأ المبارزة بين الخصمين فلا يلبث مينيلائوس أن يظفر بغريمه وخاطف زوجته ويهزم بالفتك به ، لأنه - كما أسلفنا - رخو العضلات لا يقوى على الطعان أمام مثل مينيلائوس الشجاع الموتور ، ولكن ، أفروديتيه



[الصورة رقم ٤ مأخوذة من متحف الفن ، وقد رسمها الفنان دوريس «Douris» على كأس]
يرى فيها بطلاً المبارزة : مينيلائوس وباريس ، وخلف كل منهما الإلهة التي تؤيده .

في نفس اللحظة التي كان سيفتك به فيها تنقله إلى قصره وتجمع بينه وبين هيلينيه ليعقب الاستمتاع المعركة .

أما مينيلائوس فيهم في الميدان لبحث عبثاً عن خصمه الذي اختفى بطريقة غامضة فلا يعثر عليه .

وإذ ذاك يطلب أجاممنون ومن ورائه الأكيان تنفيذ المعاهدة ، وقبل أن نسمع الرد على طلبهم ينتقل بنا المؤلف بغتة إلى مجلس الآلهة حيث نرى هيريه ساخطة تحتم على زوجها سحق الترواديين ، ولا تزال به حتى تنال منه وعداً بفسخ المعاهدة لتشعل نار الحرب فيتحقق تخريب مدينة تروادة الذي لا ترضى به بديلاً ، فلا يسمع زوس إلا أن ينزل عند رغبها في إيقاد لهيب المعركة ، ولكنه يرمى من وراء ذلك إلى غاية أخرى وهي العمل على هزيمة

الهيلين تحقيقاً للوعد الذى قطعه على نفسه لـ « ثيتيس » والدة أخيلوس ، وعلى أثر ذلك تحمل الإلاهتان « أثينية » و « هيريه » « پنداروس » وهو أحد أبطال حلفاء الترواديين على مخالفة معاهدة الهدنة بتسديده سهماً إلى مينيلأؤوس فيفعل ويصيبه . وإذ ذاك يكتفى أجائمنون بالولولة على شقيقه وبالإسراع إلى معالجته دون أن يحاول الانتقام له من خصومه الذين يبدءون الهجوم بلا سبب . وهنا يلاحظ الأستاذ كروازيه أن المؤلف يرى نفسه فى حاجة إلى إشعال نار الحرب فيشعلها دون أن يكلف نفسه عناء البحث عن مبرر لذلك .

وعلى أثر هذا تحتدم معركة هائلة تشغل القسم الأخير من الأنشودة الرابعة وتشمل الأناشيد : الخامسة والسادسة والسابعة ، وتستغرق طول النهار ، ثم تنتهى عند المساء بهدنة نرى فيها النصر إلى جانب الأكيان .

يعنون القدماء تلك الأناشيد التى تشغلها هذه المعركة بمفاخر « ذيوميذيس » وإن كانت مفاخر هذا البطل لا تتمدى نهاية الأنشودة الخامسة . وإليك مجمل هذه الأناشيد :

إذا وصلنا إلى أواخر الأنشودة الرابعة ثم إلى الخامسة فنحن فى معمعان القتال نرى « أريس » إله الحرب يثير الترواديين ، و « أثينية » تناصر الأكيان ثم تزود « ذيوميذيس » ملك أرجوس بقوة غير عادية . وفوق ذلك فإنها تحمل أريس على مغادرة الميدان فيصول ذيوميذيس ويحول . وإنه لسكذلك إذ يطعنه پنداروس ، ولكن أثينية تبرئه فى الحال وتزيد فى إثارته إلى حد أن تأمره بمهاجمة أفروديتية نفسها إذا التقى بها فيشمل ذيوميذيس بهذه الخطوة ويهيم على وجهه فيسحق كل من يصادفه من أعدائه . وفى أثناء هذا الهيمان يلتقى بـ « پنداروس » غريمه فيقتله ويحرق « إنياس » Enéas ابن أفروديتية فلا يسع هذه الأخيرة إلا أن تسارع إلى مناصرة ابنها ، فيلتقى بها ذيوميذيس ويطعنها فيجرحها فتفر مولولة إلى الأولمب حيث تشكو إلى والدتها « ديونيه » Dionè فتواسيها . وإذ ذاك يجد « ذيوميذيس » فى أثر « إنياس » ولكن « أبولون » يرده عنه وينجيه من خطره . وفى هذه الآونة يعود « أريس » إلى الميدان فينעش حماسة الترواديين . ويتقدمهم إلى ساحة الوغى

وينشر الفرع بين صفوف الأكيان بهيئة تجعل ذيوميذيس نفسه ينسحب هلعاً . وإنيهم
لكذلك إذ بـ « هيرييه » و « أثينيه » تالان الإذن من زوس بالنزول إلى الميدان وتنزلان
إليه فتشغل هيرييه بتشجيع الأكيان بينما تثير أثينيه نائرة ذيوميذيس من جديد وتصدد معه
فوق عربةـه وتوجهها صوب أريس ، وبفضل قوتها وتشجيعها يطعن البطل إله الحرب
فيجرحه ويضطره إلى الانسحاب إلى الأولمب . وبهذا تنتهى الأنشودة الخامسة .

ويرى النقاد أنها تمتاز بعدة ميزات غريبة ، منها أنها هى الوحيدة من بين أناشيد الإلياذة
والأوديسا التى تدعو « أفروديتيه » بـ « كيريس » والتى تتحدث عن والدتها ديونيه .
وأكثر من هذا أن المؤلف يضع فيها على لسان هذه الوالدة خطبة تفيض بأساطير غير
معروفة ، وأن المؤلف يطلق فيها وفى الأنشودة الرابعة على « أثينيه » اسم « ألكومينيثيس »
وهو اسم لا يطلق عليها فى أى موضع آخر من الإلياذة .

فإذا كنا فى الأنشودة السادسة فنحن نرى رؤساء الأكيان يزيدون فى مضاعفة مجدهم
بمؤالات كراتهم على أعدائهم ، بينما نشاهد جيش تروادة يتملكه الفزع وتسوده الفوضى ،
ونرى هكتور يحاول بكل ماله من قوة جمع كلمته وإعادة النظام إليه . فإذا تم له ما أراد
نراه يغادر الميدان تحت تأثير نصيح شقيقه « هيلينوس » كاهن أبولون ليطلب إلى والدته
أن تقدم قرباناً إلى أثينيه عسى أن تخفف من ضغطها على جيشهم ، فلا يسع هذه الوالدة
هيكوبيه إلا أن تذهب إلى معبد أثينيه يصحبها عدد من السيدات الترواديات وتقدم إليها
الضحايا متوسلة إليها أن تحطم حربة ذيوميذيس ، ولكن توسلاتها تذهب سدى . وفى
أثناء ذلك يتوجه إلى شقيقه باريس ويحاول أن يعيد الشجاعة إلى قلبه ، وغرض هكتور
من هذا التشجيع أن يحمل شقيقه على العودة إلى القتال . فإذا انتهينا من هذا المنظر فنحن
أمام منظر آخر يفتت الأكباد أسى وحزناً ، وهو منظر وداع النبيل هكتور لزوجته المحبوبة
« أندروماخيه » وابنه الوحيد قبل ذهابه إلى ساحة الوغى التى لا يضمن عودته منها ، وهلع
هذه الزوجة الشابة على زوجها العزيز الذى تحبه إلى حد العبادة والتقديس .

وإذا كانت الأنشودة السابعة فنحن لانزال فى المعركة عينها ، وإنها لعللى أتمها يكون

احتداما ، إذ بنا نشاهدها تنقطع فجأة وتحل محلها مبارزة شخصية . و بيان ذلك أن هكتور يظهر في الميدان ويتحدى رؤساء الأكيان فيقبلون ويقترعون فتعين القرعة البطل « أياّس » فيتبارزان ، ولكن المبارزة تظل بدون نتيجة . وإذ ذاك نفاجأ باتفاق على الهدنة يوماً واحداً ليتمكن الفريقان من دفن موتاهما . وفي أثناء هذا اليوم ينتهز الأكيان الفرصة فيقيمون حول معسكرهم حصناً هائلاً .

ويرى الأستاذ كروازيه أن هذه الأنشودة تحتوي على عدة مخالفات لطبائع الأشياء . فمن ذلك مايلي :

١ - إن ذيوميذيس الذي رأيناه في الأنشودة السابقة نسيج وحده يختفي بقاتاً في هذه الأنشودة رغم أن أثينيه ترفض تحطيم حربته .

٢ - كيف أن الأكيان يوافقون على وقف معركة لهم فيها الغلبة ويستبدلون بها بمبارزة شخصية .

٣ - كيف يقبلون عقد معاهدة مع الترواديين الذين ينتهكون حرمة المعاهدة السابقة في اليوم نفسه ولا نرى الأكيان يشيرون إلى هذا النقص أية إشارة .

٤ - كيف يستطيع الهيلين أن يقيموا في يوم واحد حصناً هائلاً على حد تعبير المؤلف لاسيما وأنهم كانوا يحاصرون تروادة منذ تسعة أعوام ولم يفكروا في بناء ذلك الحصن قبل هذا اليوم ، وهذا كله يدل على أن هذه الأنشودة أقدمت دون أية عناية بالفن أو بالانسجام ، وأن مؤلفها ليس هو مؤلف أنشودة مفاخر ذيوميذيس .

ومهما يكن من شيء فإننا نشاهد أن وعد زوس لـ « ثيتيس » بأنهم الهيلين لا يزال معلقاً ، ولكي يتحقق يجب أن ننتظر الأنشودة الثامنة ، وهي قصة المعركة الثانية من الإلياذة ، فإذا وصلنا إليها فنحن في صباح اليوم التالي ليوم الهدنة ، ونحن في الأوّل نشاهد زوس يرغب ويتردد ويحظر على جميع الآلهة التدخل في هذه الحرب ويهدد من يخالف أمره بأسوأ مصير . وإذ ذاك تنقلب المعركة على الأكيان فيسوء موقفهم وبصيب رؤساءهم الأعلين فزع شديد فلا تلبث الإلاهتان : هيريه ، وأثينيه ، أن تقوموا بمحاولات لمعاونتهم

رغم تهديد زوس ، ولكن تلك المحاولات تضيع سدى وتظل الحال على هذا المنوال حتى
يبحن الليل فيرى الأكيان أنفسهم قد تقهقروا إلى معسكراتهم .

ويصف النقاد هذه الأشودة بالفقر وتفاعلة المستوى ، ولا يستحسن الأستاذ كروازيه
مبها إلا منظر مجلس الأومب ، وهو يرى أنه أقبح فيها ، بل قد لا يكون مؤلفه هو
نفس مؤلفها .

فإذا كانت الأنشودة التاسعة - وقد وضع الليل أوزار المعركة - فنحن في معسكر
الأكيان نرى أجاممنون يعقد مجلس الملوك ويقترح عليهم رفع الحصار عن تراودة
والعودة إلى بلادهم ، ولكن هذا الاقتراح لا يقال قبولاً . وبعد محاورة يتفق الجميع على
أن يرسلوا سفارة إلى أخيلوس ليسترضوه ويعيدوه إلى صفوفهم ، وهذه السفارة تتألف من
أوديسوس ، وأيأس ، و ، فينكس الشيخ ، ولا يكاد هؤلاء الأبطال يمثلون أمام أخيلوس
حتى يستقبلهم استقبالا لطيفا مفعما بالأدب والبشاشة وإذ ذاك ينتهزون هذه الفرصة
ويلقون لتهديته خطبا ساحرة يصرحون فيها بأن أجاممنون يعترف بجرمه وينحني أمامه ،
وأن الأكيان ينضمون إلى رؤسائهم وبسالونه العفو ، وأن الجميع لا ينتظرون سلامتهم إلا
على يده ، وأنهم على أتم استعداد لأن يبجلوه كإلاه غير أن أخيلوس لا يلين أمام هذه



[الصورة رقم ٥ مأخوذة من متحف اللوفر ، وهي من صنع الفنان هيرون]
وتمثل أوديسوس وأيأس منحنيين بين يدي أخيلوس انحناء التوسل والضراعة وقد وقف فينكس الشيخ
وهو ثالث السفراء خلف كرسي أخيلوس .

الأمالق ويرد عليها بعبارات ملؤها السخط والغضب ويأبى أن ينخدع باستعطافاتهم الزائفة ويرفض أن يغفر تلك الإهانة الجارحة التي صوب أجائمنون سهامها إلى صدره على مرأى ومسمع من كل ملوك الهيلين وأبطالهم ، ولم يقف واحد منهم في صفه وقفة الشهم الكابح جاح هذا العاهل الشره الذي لم يفكر في أن كل هؤلاء الفرسيان إنما يتجشمون المتاعب والصعاب في سبيل إنقاذ زوجة أخيه .

ولقد كان النقاد الأقدمون يرون أن هذه الأنشودة التاسعة هي من أقدم أناشيد الإلياذة ومع ذلك فهم يرون أن دور « فينيكس » قد أضيف فيها إلى دورى « أوديسوس » و « أياس » بهيئة تشف عن جهل مقحمة ، لأن المؤلف الأول قد أعاد في الأنشودة صيغة الثانية عدة مرات . وهذا برهان قاطع على أن السفارة المرسلة إلى أخيلوس كانت مؤلفة من بطلين اثنين لا من ثلاثة ، أما المحدثون فيشو كهم في هذا الرأي ما يلحظونه من تناقض هذه الأنشودة مع غيرها في أخلاق أجائمنون .

أما الأنشودة العاشرة فهي تقص علينا نبأ حملة ليلية يبعث بها الأكيان إلى معسكر أعدائهم ويقوم بها أوديسوس وذيوميذيس في نفس الليلة التي تحدث فيها مفاوضة أخيلوس ويكون من نتائجها تذييح « ريزوس » التراسى وأصحابه وهم من حلفاء الترواديين . وفي أثناء عودتهما يلتقيان بالجاسوس التروادى « دولون » فيقتلانه .

وقد أعلن النقاد القدماء أن هذه الأنشودة قد أضيفت إلى الإلياذة فيما بعد ، إذ أن القصة التي تحتويها ليست ضرورية لتتابع سلسلة الحوادث ، ولأن ماتم فيها لا يعقل أن يتم في ليلة واحدة مع ما ذكر في الأنشودة التاسعة . والنقاد المحدثون يوافقون على هذا ويضيفون إلى أسانيده أن أسلوبها أدنى بكثير من أسلوب الأناشيد الأخر .

١ - الأنشودة الحادية عشرة :

إذا كانت الأنشودة الحادية عشرة فنحن في المعمة نشاهد « إيريس ^(١) » Eris تعد العدة بأمر ، زوس لإبلاغ لهيب المعركة أشده ، ونرى أجاممنون - وقد امتلاً شجاعةً وأملاً - يتسلح ويندفع إلى ساحة الوغى ، وقبل أن يحتدم القتال تلقى زوس بصره على هزيمة الأكيان في قوة وتصميم ، ويقبض بيده على زمام الحوادث ، ونشاهد الآلهة الآخرين معتكفين في قصورهم كأنهم يعتزلون كل شؤون هذه الحرب . ولا يكون سلوك هذه الخطة من جانب زوس إلا إنجازاً لوعده ثيتيس بهيئة حاسمة . وعلى أثر ظهور هذا الحزم تشتبك المعركة فيبرز أجاممنون ويشغل في عزة ، مركزه كقائد أعلى للجيش كله ، ويعلن أنه سيؤم الجميع إلى سعي الزوال ثم يفعل . وهنا يشير زوس على هكتور أن يظل بعيداً عن المعركة ، وألا يساهم فيها إلا بعد أن يختفى منها أجاممنون . وحوالي منتصف النهار يهوى أجاممنون جريحاً فيتغير وجه الحوادث ويقذف هكتور بنفسه في الميدان « شبيهاً بصدمة زو بعة عنيفة تهوى من شاهق جبل على البحر المظلم » . وإذا ذاك يتحول موقف الأكيان إلى دفاع وتتغير قيادة جيوشهم ثلاث مرات ، فيتولاها بعد أجاممنون ، أوديسوس ، و ، ذيوميديس ثم ، أوديسوس ، وحده ثم مينيلافوس ، و ، أتاس ، حسبما يصيب كلاً منهم من طعنة أو أو هزيمة . وأخيراً يظل أتاس يقاوم ولا يتقهقر إلا خطوة بعد خطوة حتى يقهره زوس على التخلي نهائياً فيتم بذلك انهزام الأكيان .

وفي أثناء هذه الهزيمة المنكرة يحمل نستور الشيخ في عربته الطبيب « ماكاوون » جريحاً فيلحمهما أخيلوس من خيمته ولكنه لا يدرى من هو هذا الجريح المحمول فيرسل صديقه بترُّ كلوس ليستطلع الخبر فيتوجه هذا الأخير إلى خيمة نستور وبعد أن يقف على ماجاء من أجله يهيم بالعودة فيستوقفه الشيخ فيأبى المقام محتجاً بأن أخيلوس ينتظره ، ولكن نستور

(١) إيريس هي إلهة النزاع والشقاق فلا ينبغي أن تلبس بإيريس رسولة الآلهة ، لأننا اضطررنا أن نكتبها في العربية على صورة واحدة مع اختلاف حروفهما في الهيكلية ، إذ أن هذه الأخيرة تكتب هكذا . Iris

يلقى عليه خطبة طويلة لا علاقة لها بالظروف الراهنة . وفي أثناء عودة ، بَئْرُ كلوس ،
يرى أوريبيلوس ، جريحاً فينسى انتظار أخيلوس إياه ويبقى مع صديقه الجريح ولا يعود
إلى أخيلوس إلا في الأنشودة الخامسة عشرة .

ويرى الناقدون أن القسم الأول من هذه الأنشودة قوى مفعم بالجمال وأنه لا بد أن
يسكون التالى المباشر للأنشودة الأولى ، إذ أن الاتساق فيه يتتبع ببساطة وأنه يفيض
بالحوادث دون أن يلتبس بعضها ببعض الآخر ، وهذه محاسن لم يصادفها القارىء إلا في
الأنشودة الأولى ، وفوق ذلك فإن أجائمنون يظهر فيها على النحو الذى يظهر عليه في
الأنشودة الأولى : صلابة لا تعرف اللين ، وشجاعة لا تتراجع أمام الأخطار وكبرياء تصل
إلى الخروج على المؤلف ، وهذا كله يتنافى مع أجائمنون اليأس المتضعع الذى يبدو لنا
في الأنشودة التاسعة .

أما القسم الأخير من هذه الأنشودة الحادية عشرة فهو ضعيف في معانيه ومبانيه ،
وكانه لم يلحق بالقسم الأول إلا إعداداً للأنشودة التالية .

٤ - من الأنشودة الثانية عشرة إلى الخامسة عشرة :

إذا وصلنا إلى الأنشودة الثانية عشرة فنحن نرى الترواديين ثملين بحمرة النصر يوالون
زحفهم وهجومهم على حصن الأكيان ونشاهد هؤلاء الأخيرين يتابعون تقهقرهم وانسحابهم
وكان المنتظر أن تستمر هذه الحالة في سيرها الطبيعي ، غير أن الأنشودة الثالثة عشرة تفاجئنا
بما لا يكون في الحساب إذ نرى زوس - وقد تحلل من وعده لثيتيس بتحقيق هزيمة
الأكيان وانحنائهم أمام أخيلوس - يدير وجهه عن الترواديين فتكون نتيجة ذلك أنه
يقذف بحوادث الحرب إلى يد المصادفة فتتأرجح فوق صفحة الحظ يميناً وشمالاً ويصبح
فيها الفوز بين الفريقين سجالاً . وإذا ذاك يرى الآلهة الآخرون أنفسهم في حل من
التدخل ويعتبرون إغضاء زوس عن الممعة إذناً لهم بالمساهمة فيها ، كل حسب ميله وهواه

فترى « پوسيدون » Posèidon عدو الترواديين الذى ظل فى عزلة عن المعركة إلى الآن يبادر إلى معونة الأكيان ، وهنا يرسم المؤلف أمامنا صورة شيقة لرحلته البحرية من مقره إلى موضع الموقعة ، ولا يكاد يصل حتى يظهر بصور إنسانية مختلفة كى يتمكن من إثارة رؤساء الأكيان ، وإذ ذاك تشتبك معركة بين الفريقين وتظل غامضة النتائج حتى يجمع هكتور جيش تروادة ويحمل على أياس دون أن نلمح أية معونة للأكيان من جانب « پوسيدون » .

فإذا كانت الأنشودة الرابعة عشرة فنحن فى مجلس ملوك الهيلين نسمع محاوراتهم ونشهد أجاممنون يعرض عليهم الرحيل من جديد : ولكن ، أوديسوس ، و ، ذيوميديس ، ينبذان هذا رأى ، وإنهم لكذلك إذ بـ « پوسيدون » يظهر فى صورة شيخ مجهول ويظل يشجعهم ويشير حماسهم . وحينئذ تلعب « هيريه » دورها الشهير البديع ، فلكى تعين « پوسيدون » على مناصرة الأكيان وتقيه تنبه زوس تعمد إلى غمر هذا الأخير بلذيد غرامها ثم تستعين عليه بإلاه النوم فتنيمه نوماً عميقاً . وعند ذلك يخلو الجو لپوسيدون فيضائف جهوده ، بل لا يتخرج عن السير على رأس الجيش الهيلينى فلا يكون بد للترواديين من التقهر . وأكثر من هذا أن أياس يطعن هكتور طعنة يغيب بسببها وعيه ويحملة مواطنوه بعدها فاقدر الرشد ولا يعود إلى الإدراك إلا بصعوبة ويسترد الأكيان كل ما كان الترواديون قد احتلوه من جبهة القتال .

ويرى النقاد أن هذه الأنشودة الرابعة عشرة هى أضعف أناشيد الإلياذة على الإطلاق إذا استثنينا منظر دلال هيريه على زوجها ومخادعتها إياه حتى تنيمه فإن هذه القطعة قد انفردت بجمالها عن الأنشودة كلها .

وإذا وصلنا إلى الأنشودة الخامسة عشرة فنحن أمام زوس وقد استيقظ من نومه ورأى ما حدث فيثور ثأره ويصمم على إعادة الأمر إلى الحالة التى كان عليها قبل نومه فيبدأ بأمر پوسيدون بالانسحاب فلايسع هذا الأخير إلا أن يذعن آسفاً . وبعد ذلك ينزل أبولون إلى الميدان فينفض هيكور ويعيد إليه قوته ونشاطه وليس هذا لحسب ، بل هو يتولى بنفسه قيادة جيش تروادة ويدفع الأكيان إلى الوراء ويهدم حصنهم هدماً تاماً . وإذ يرى الأكيان

هذه المزيمة المنكرة لا يجدون بداً من الفرار إلى سفنهم الراسية في الشاطئ ، وحينذاك فقط نرى « پترُ كلوس » الذى تركناه فى خيمة « أريپيلوس » فى الأنشودة الحادية عشرة يخرج منها ويعود إلى صديقه أخيلوس

ويعتقد النقاد المحدثون أن هذه الأناشيد الأربع الأخيرة من وضع أعصر مختلفة قصد بها واضعوها إطالة الألياذة أو الإعداد لما سيجىء منها بعد ذلك على نحو ما حدث فى الأناشيد التسع التى تلى الأنشودة الأولى ، ولكنه انتحال لا بأس به ، لأن الحوادث فى هذه الأناشيد ليست متنافرة ولا بارزة الشذوذ ، وفوق ذلك ففيها مناظر لا تخلو من جمال فى التصوير والأسلوب .

٥ — الأنشودتان السادسة عشرة والسابعة عشرة

ألقى القراء منذ أقدم العصور هاتين الأنشودتين معنوتين مع أواخر الأنشودة الخامسة عشرة بعنوان «الپترُ كلوسية» لأن پتر كلوس صديق أخيلوس هو الذى يشغلها ويمثل أهم أدوارها . وبيان ذلك أننا إذا وصلنا إلى الأنشودة السادسة عشرة نرى الترواديين يندفعون وراء الأكيان المهزمين حتى يصلوا إلى السفن فى مراسيها ونرى قائدهم هكتور يهدد الهيلين تهديداً شديداً ، ويهين أبطالهم إهانات متكررة تجرح عزتهم ، ونشاهد أياص يدافع فى شجاعة وبسالة ، ولكن الأكيان - رغم استماتة قائدهم - يشعرون بأنهم خسروا المعركة ، وهنا نرى پترُ كلوس يصف لصديقه أخيلوس الحالة الأسيفة التى وصل إليها الهيلين ويطلب إليه أن يمزق ستار هذه العزلة ويسام فى القتال ، فيصر أخيلوس على رفضه إصراراً لا يتزعزع ، ولكنه يسمح له هو بأن يحمل سلاحه وينزل إلى الميدان . وفى الحق أن الحالة كانت تقتضى الإسراع ، لأن هكتور كان قد هزم أياص وحطم حربته وتمكن من إشعال النار فى إحدى سفن الأكيان . وبعد إقامة إحدى الصلوات الفخمة يندفع پترُ كلوس إلى المعركة متسلحاً بسلاح أخيلوس ومستعيناً بجنوده فلا يكاد يصل إليها حتى يتبدل الحال ويتغير وجه الأمر كله فتطفأ الحرائق ، ويحال بين الترواديين وبين السفن ، بل هم يتقهقرون إلى ما وراء الخندق . وإذ ذاك يلتقى القارىء بصورة حماسية رائعة لتقهقر الترواديين .

وإذ وصل بتر كلوس إلى هذا الحد من الفوز فقد كان المرجح عليه أن يكتفى بذلك ويعود حسب أمر صديقه أخيلوس ، غير أن حمرة الانتصار تهبه عن وفاء بتر النفاق عليه فيقطع الطريق على الفارين من فلول جيش التروادى ويعمل السيف في وجههم ثم تابع تعقب الباقين . وفي أثناء ذلك التقى بهكتور فيقتل فأثر عربته فتساقط من هذه معركة مرعبة حول الجثة تدخل فيها أيلون مدصرة هكتور ويتخذ وسيلة لذلك لزع سلاح بتر كلوس فيتمكن « أوفريوس » من طعنه فيهوى جريحاً ثم يبادر هكتور بالإجياز عليه ، ولكنه يتنبأ قبل موته بأن أخيلوس سينتقم له . وبهذا تنتهى الأنشودة السادسة عشرة .

أما الأنشودة السابعة عشرة فهي تدور كلها حول المعارك العديدة التي يحتمل خيماها بين الفريقين إلى جانب جثة بتر كلوس . ولهذا كانت - رغم جمال بعض مناظرها - مملّة لتماثل كثير من أجزاءها .



صورة رقم ٦ وقد رسمتها الفنان الفرنسي أوتور فلافان كداس أثينا من صنع الفنان الإغريقي أكيديوس وهي صورة أحد المقاتلين الهلين وهو عذف بنفسه في معسكر المراكس.

كل ما يعرضه عليه الخياليين من ترضيات ، بينما هو يرسل صديقه في الأنشودة الأخيرة

(م : - الأدب الهليني)

ويرى النقاد أن
البيتر كلوسية من وضع
هوميروس وأنها تابعة تبعية
مباشرة للأنشودة الحادية عشرة ،
إذ هي تماثلها في البساطة
والوضوح وصراحة التصرفات ،
وأن الأهواء مرسومة فيها بدقة .
ويعلن الأستاذ كروازيه أن
أخلاق أخيلوس في الأنشودة
التاسعة ، تتناقض معها في
الأنشودة السادسة عشرة ، إذ
أن هذا البطل في الأولى يرفض

لمناصرتهم ، لأحباً فيهم ولا احتفاظاً بكرامتهم ، وإنما حرصاً على سفنه الخاصة التي يخشى أن تمتد إليها السنة النيران ، وهو يطلب إلى هذا الصديق ألا يغالى فى طرد الترواديين حتى يظل الأكيان فى حاجة إليه ويعودوا إلى استرضائه بتعويضات مادية . وهذا كله يدل على أن الأنشودة التاسعة ليست من الإلياذة القديمة ولو فى نظر النقاد المحدثين على أقل تقدير .

٦ — من الأنشودة الثامنة عشرة إلى الأخيرة

يشغل أخيلوس هذه الأناشيد السبع الأخيرة . ولهذا رأى الناقد « لَشَّان » أنها جديرة بأن تعنون بالأخيلوسيات وإن كان ذلك ليس معناه أنها لمؤلف واحد ، ولا أنها كتبت فى عصر واحد . ومهما يكن من الأمر فإذا وصلنا إلى الأنشودة الثامنة عشرة فنحن نشاهد « أنتيلوكوس » يحمل إلى أخيلوس نبأ قتل صديقه بَتْرُكلوس ، فتسحق هذه الصدمة العنيفة قلبه أول الأمر ، ويبلغ به اليأس حداً يصل أثره إلى والدته ثيتيس فتجئ على الفور يتبعها موكبها من عرائس البحر ، وتحاول جهد طاقتها مواساته فيظل جامد الحس كأن فؤاده أوصد أمام كل تعزية وصار لا يفكر إلا فى الانتقام لصديقه ، فلا يسمع هذه الوالدة المرتاعة على ابنها إلا أن آمده بصنع سلاح يعتاض به عن سلاحه الذى غنمه الترواديون عند قتل صديقه . وعلى أثر رحيل أمه نراه — وقد طار طائر الاتزان من رأسه — يندفع إلى جيوش الأعداء بلا سلاح ولا دروع يبحث عن جثة صديقه العزيز . وإذ يشرف على جموع الترواديين يصرخ فيهم صرخة جبارة لاتشبه صرخات البشر تجعلهم يفرون جميعاً منهزمين أمام هذا الرجل الأعزل الذى ليس بيده ولا على جسمه شئ من معدات الحرب . وعندما يخلوله الميدان ويقف فيه وحده ، يأخذ فى التفرس فى وجوه القتلى الذين يزدحم بهم مكان المعركة حتى يعرف جثة صديقه الشهم فيحملها بين أحضانه ويسير بها إلى خيمته حيث يجلس طول الليل يذرف الدمع عليها . وأخيراً يقسم ليشارك فى القتال منذ الغد

وليفتلن هكتور ولو كان في حماية الآلهة . وبينما هو على هذا النحو كانت أمه الإلهة البحرية تتفاوض مع « هيفيستوس » إله الحدادة في أن يصنع عدة حربية خالدة ، ليحملها ابنها غداً في حالة انتقامه لصديقه الراحل ، فيفعل لها الإله ما تريد ويستولى أخيلوس على هذه العدة الإلهية التي تزيد الرهبة منه إلى حد كبير .

هذا هو القسم الأول من الأنشودة الثامنة عشرة ، أما القسم الأخير منها فيحتوى على عدة مناظر صغيرة أولها يحدث في تروادة حيث نشاهد مجلس الزعماء منعقداً يتحاور في الحالة الحربية فيقترح « بوليذاماس » العودة إلى تروادة والاحتفاء بسورها ، ويقاوم هكتور هذه الفكرة ويعلن رغبته في مهاجمة السفن عند مايتنفس الصبح . وثانى هذه المناظر يصور لنا طقوس الحداد التي يقوم بها أخيلوس وجنوده لثمان صديقه . وثالثها يروى لنا زيارة ثيتيس لـ « هيفيستوس » إله الحدادة ويرسم لنا تلك العدة الحربية البديعة التي يقدمها إلى أخيلوس .

ويعتقد النقاد أن القسم الأول هو وحده القديم ، أما المناظر الثلاثة التي تؤلف القسم الثانى فقد أضيفت إلى الأنشودة فيما بعد .

وإذا وصلنا إلى الأنشودة التاسعة عشرة فإننا نلقيها مفعمة بمناظر ، بعضها منخفض المستوى ، بل مسف إلى حد بعيد ، فأحدها مثلا يصور لنا ثيتيس تذود الذباب عن جثة بتر وكلوس ، وهى مهنة لاتليق بمقام الآلهة كما يلاحظ الأستاذ كروازيه . وثانيها يثقل على القارئ بمحاولة مملة تدور حول ما إذا كان يجب أن يتناولوا الطعام قبل المعركة أولا . ويصور لنا أخيلوس يأبى أن يذوق شيئا ، ويحاول الرؤساء أن يقنعوه بتناول الطعام ليكون أقدر على المقاتلة ، ولكن محاولتهم تذهب سدى فتدخل أثينية في الأمر وتطعمه من طعام الآلهة على غير علم منه . وثالثها يحدثنا عن محاولة رؤساء الهيلين الإصلاح بين أخيلوس وأجاممنون ، ولكن البعض الآخر من مناظر هذه الأنشودة لا بأس به ، إذ لا نلبث بعد هذه المناظر السابقة أن نشاهد المستوى يرتفع فجأة فيرسم لنا أخيلوس - وقد استلأم سلاحه - يندفع إلى ساحة الوغى منقباً عن هكتور .

فإذا وصلنا إلى الأنشودة العشرين فنحن بديا في مجلس الآلهة نشهدهم ينقسمون بأمر زوس إلى حزبين يؤيد كل حزب منهما من يميل إليه من الفريقين المتحاربين ويأخذ بنصيبه الفعلي من المقاتلة معه . فإذا انتهينا من هذا المنظر فنحن أمام منظر آخر نشاهد فيه أخيلوس يبحث عن هكتور فيلتقي أثناء بحثه بـ « إنياس » بن أفروديتية الذي يشير ضده أبولون فتشتعل بينهما منازلة فردية طويلة تتخللها الخطب من الجانبين . وبعد ذلك يصور لنا المؤلف أخيلوس نائراً يسوق جنود تروادة أمامه سوق الأنعام ويعمل سيفه في أعناقهم بلا رحمة ولاشفقة . وأخيراً يلتقي بغيرمه هكتور فيهم أن يفتك به ولكن أبولون يخفيه عن عينه .

ويعان الأستاذ كروازيه أن هذه الأنشودة ليست من وضع هوميروس ولاسيا المنظر الذي يحاول المؤلف فيه الإكثار من دور « إنياس » .

أما الأنشودة الحادية والعشرون فتتألف من ثلاثة مناظر ، أولها عنوانه : « معركة إلى جانب النهر » وعمله أن أخيلوس يتابع الجزيرة حتى يصل بها إلى داخل النهر حيث يقتل « أستيرويه » التراسي ، وهنا يغضب النهر على انتهاك حرمة ويهم بابتلاعه فيهرب أخيلوس أمامه فيتعقبه ويستعين عليه بنهر آخر فيتكاتف النهران ويفيضان فيغمران الميدان فتطفو الجثث والأسلحة على سطح الماء ، وبهذا يمسى موقف أخيلوس خطراً وهلاكه محققاً ، ولكن سرعان ما يمد « هيفستوس » إليه - بأمر « هيريه » - يد المعونة فينشر النار في كل مكان فتجف المياه ويقف الفيضان وليس هذا خُصب ، بل إن النهر نفسه يطلب الغفران . وثاني هذه المناظر عنوانه « معركة الآلهة » وموجزه أننا نشاهد الآلهة - وهم من رأيانهم في الأنشودة السالفة - منقسمين إلى حزبين متعاديين يتحدى بعضهم بعضاً، ولكن نتيجة هذا التحرش لاتتعدى الكلام إلا إلى بعض المناوشات البسيطة . أما المنظر الثالث فكأنه تمهيد للأنشودة الثانية والعشرين ، ولذا وضع المؤلف له معها عنواناً واحداً وهو « موت هكتور » .

ومجمل هذه الأنشودة وتمهيدها أن المؤلف يقذف بنا في وسط معركة مثيبهة تدور رحاها على أشلاء الترواديين ويطلعنا على منظر الآلهة جلوساً فوق قمة الأولمب يشاهدون المعركة .



[الصورة رقم ٧ هي رسم بارز عشر عليه في معبد دلفي
وهي تمثل مجلس الآلهة في الأولمب وهم يشاهدون المعركة كأنهم في مسرح يرقبون الممثلين]

وإذ ذاك نلقى أولئك الترواديين المنهزمين يتدافعون إلى أبواب تروادة التي كان برياموس قد أمر بفتحها ، ونرى أخينوس يتعقب شبحاً زائفاً هيكاتور أو جنداً له أبولون ليضله ويبعده عن غريمه الحقيقي ، غير أن هيكاتور الشجاع تآبى عليه كرامته أن يتوارى من عدوه فينتظره منفرداً إلى جانب السور رغم توصلات والديه التي يرسلانها إليه من فوق السور



[الصورة رقم ٨ هي كسائتها رسم عشر عليه في معبد دلفي
وهي تمثل الجود لخاريين الذين يشاهدون الآلهة من فوق قمة الأولمب]

أن يدخل باب المدينة فتضيع أدراج الرياح ويقف هذا البطل جامداً مصمماً على أن يلقي خصمه . وإنه لعلى هذه الحال إذ يظهر أخيلوس فيرتعب هكتور من منظره ويستولى عليه هلع لا يقوى على مقاومته فيسلم ساقيه للريح ، ولكن أخيلوس يجد في أثره . وهنا يرسم لنا المؤلف لوحة فنية هائلة لهذا الموقف المزعج الذي يشف عن إحداق الخطر بحياة هكتور ، فينبئنا بأن زوس يتخلى عن مناصرة هذا التعس ويتركه لحظه ، وتنتهز أثينية هذه الفرصة فتستوقف أخيلوس عن متابعتة لحظة ريثما تلعب دورها ثم تذهب إلى هكتور في صورة شقيقه « ذيئفوبوس » وتقنعه بأن يكف عن الفرار ويواجه عدوه فيفعل ، ويلتقي الحصان ويشتمل لهيب المنازلة ، ونشاهد الجيشين المتعادين في هلع شامل واضطراب رهيب ، ونحس بأن قلوب الفريقين تكاد تنخلع من أمكنتها وتسقط في علب الصدور جزعاً على هذين البطالين . وسرعان ما يكر أخيلوس على خصمه ثم يهوى عليه في حنق وقسوة ويطعنه طعنة نجلاء فيسقط مدرجاً بدمائه . وقبل أن يلفظ النفس الأخير يتوسل إلى أخيلوس أن يحترم جثثانه ويسلمه إلى ذويه ، ولكن هذا الأخير لا يرق لتوسلاته ويجهز عليه وهو يسبه ويلعنه فيفارق الحياة بعد أن يتنبأ لقاتله القاسى بأنه سيقتل هو الآخر في العاجل القريب . وعلى أثر ذلك يصور لنا المؤلف لوحتين متعارضتين أشد المعارضة ، بالغة كل واحدة في بابها من الفن حد الفطنة والسحر . فبينما نرى في اللوحة الأولى الأكيان يصيحون فرحين مستبشرين لاتكاد أفئدتهم تتسع لما يحل بها من غبطة وسعادة بقتل عدوهم الجبار ، نشاهد في اللوحة الثانية برياموس الشيخ المتحطم يكاد قلبه ينفطر حزناً ، و « هيكيويه » والد هكتور ملتاعة تذرف الدمع السخين ، و « أندروماخيه » زوجته المحبة تولول ولولة تذيب النفوس أسى . وبهذا تنتهى الأنشودة الثانية والعشرون .

ويلقى الأستاذ كروازيه على المنظر الأول من الأنشودة الحادية والعشرين بأنه لا بد أن يكون من وضع شاعر عبقرى خصب الخيال ، ولكنه ليس لـ « هوميروس » لأنه لا تظهر عليه بساطة تسلسل الحوادث وجريانها في تيار طبيعى كما هى الحال في شعر ذلك

الشاعر ، إذ أن خروج النهر عن حدوده والاستعانة بنهر آخر وإشعال النار في الميدان ومقاومة أحد هذين العنصرين بالآخر ، وبالإجمال قلب الطبيعة رأساً على عقب كما يظهر في هذا المنظر ليس بالشئ الهين أو اليسير بل هو يباعد بيننا وبين البساطة الفخمة التي نلتقي بها دائماً في أناشيد هوميروس وإن كان في ذاته منظرًا قاتماً .

وأما المنظر الثاني - وهو معركة الآلهة - فهو في نظر فريق من النقاد لا يزيد على أنه محاكاة باهتة لمعركة النهرين : « إكسنتشوس » « Xanthos » و « سيموئيس » « Simois » ويرى فريق آخر العكس فيرجح أن معركة الآلهة أدخل في باب البدائية من معركة النهرين ، وأن هذه الأخيرة قد أضيفت إليها لترتفع بمستواها بعض الشئ ، ولكن الذي لا ريب فيه هو أن كلا المنظرين ليسا من تأليف هوميروس ، لأن التلفيق بادٍ عليهما بأجلى مظاهره .

وأما المنظر الثالث من الأنشودة الحادية والعشرين وكل الأنشودة الثانية والعشرين وهو المعنون بموت هكتور فعليه علائم القوة والعظمة والبساطة والفخامة التي هي من مميزات شعر الإلياذة البدائية .

ومن روائع الجوانب التي يبدو فيها جمال هذا القسم أنه يرسم الحقيقة ويصور قوة العاطفة بهيئة لا تكاد تدع للمغالاة ثغرة تنفذ إليه من خلالها . ومن مميزاته كذلك هذا الأسلوب القوي الرصين الذي يصوغ فيه الشاعر حوادثه الفاجعية المؤثرة .

وأما الأنشودة الثالثة والعشرون فتتألف من منظرين ، أولهما يشغله المؤلف بإعداد جنازة بَئَرُ كلوس وما يقتضيه ذلك من طقوس دينية وتقاليد قومية . وثانيهما يصور لنا الألعاب التي هي من لوازم الجنائز الكبرى والتي يقوم بها أبطال الهيلين وعلى رأسهم أخيلوس لتشريف صديقه الراحل مثل سباق العربات والمصارعة والرمي بالقوس وقذف الحراب وهم جرا .

ويرى النقاد أن المنظر الأول يصف العواطف والأفعال وصفاً محتشماً ، ولكنه تنقصه الفخامة . أما الثانى فهم يرون أنه أجمل من الأول فى دقة الوصف ولا سيما حين يصور لنا سباق العربات وإن كانوا يأخذون عليه طوله الملل ، وخلوه مثل سالفه من مميزات شعر هوميروس .

أما الأنشودة الرابعة والعشرون - وهى الأخيرة - فنعنوانها « دية جثمان هكتور » ومجملها أننا نرى أخيلوس الذى لم تنطفىء من صدره نار الحقد على هكتور حتى بعد موته يسحب جثته الملقاة فى التراب على وجهها ويلف بها حول حجر صديقه بتر كلوس الجنائزية ليتم انتقامه له ويصمم بعد ذلك على أن يلقي بالجثة للطير والسباع وأن يحرمها الطقوس الدينية لئلا تذهب روح هكتور إلى دار النعيم . [انظر الصورة رقم ٩ فى صفحة ٥٧] وإذا تأخذ الآلهة الشفقة فيأمرزوس « ثيتيس » بأن تعد ابنها لقبول فكرة رد الجثة إلى ذويها ، ومن جهة أخرى يرسل « إيريس » إلى برياموس لتدفعه إلى التصميم على الذهاب بنفسه ليطلب جثة ابنه ، فلا يسمع هذا الشيخ المحزون إلا أن يغادر المدينة ليلاً متجهاً إلى عدوه اللدود رغم توسلات زوجته ألا يفعل ، وبفضل هرميس الذى يقتاده دون أن يعرفه بشخصيته يصل إلى معسكر الهيلين ثم إلى خيمة أخيلوس فيمثل بين يديه ويركع على ركبتيه متوسلاً ضارعاً إليه أن يرحم شيخوخته الفانية فيخلى بينه وبين جثة ابنه العزيز ليقم لها الطقوس الجنائزية التى لا بد منها للاستمتاع بالخلود . وإذا يرى أخيلوس ذلك من الشيخ البأس يرق له ويعطف عليه ويعمره بكرمه ولين جانبه ثم يأمر بفصل الجثة وتسليمها إليه فيحملها ويغادر المعسكر قبل طلوع الفجر ، ولا يكاد يصل إلى تروادة حتى يجمع الشعب ليندب ذلك البطل الماجد الذى خر صريعاً فى حومة الوغى تحت ضربة أخيلوس ، وبعد أن يتم له ذلك يقوم بالواجبات المقدسة فى وسط خضم هائل من الصراخ والعيول المنبعثين من أفواه الأيامى والتكالى اللواتى أصبحن يرسفن بعد فقد أزواجهن وإخوتهن وأبنائهن فى قيود الذل والهوان ولا سيما أندروماخيه زوجة هكتور ، وهيكيويه والدته اللتين لا تنهى الإلياذة إلا بعد أن تصف لنا فى عظمة مؤثرة وأسلوب ساحر فائن صياحهما وعويلهما خلف الجنازة .



[الصورة رقم ٩ وجدت على وعاء ضخمة في متحف نابولي] .

وهي تمثل أخيلوس واقفاً فوق مركبته وقد جعل يسحب جثة هكتور على وجهها خلف المركبة ويدور بها حول الحجرة الجنائزية التي أعدت لإحراق جثمان بتركائوس صديق أخيلوس ، ويرى في أعلى الصورة درع ذلك الصديق لماث كما يرى أشخاص يغدون ويروحون حاملين الفرائين الدينية .

ويرى النقاد أن هذه الأنشودة الأخيرة مفعمة بالركة والوداعة والخيرية وكبر النفس ، ولكنهم لا يستطيعون تعيين مؤلفها وإن كانوا يكادون يحزمون بأنه ذو موهبة عظيمة . وفوق ذلك فهم يلاحظون أن أسلوبها أقرب إلى أسلوب الأوديسا منه إلى أسلوب الأناشيد البدائية من الإلياذة ، بل إن بعض عبارات الأوديسا مستعارة من هذه الأنشودة .